صورة الإمام الجواد عليه السلام وإمامة الأنبياء في القرآن الكريم

- دراسة مقارنة -

المدرس الدكتور
ستار جليل عجيل
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار
Sataar212@gmail.com

The image of Imam al-Jawad, peace be upon him, and the Imamate of the prophets in the Holy Qur'an, a comparative study

Dr. Sattar Jaleel Ajeel
General directorate of education in Thi Qar

الملخص:-

عُدَّ الإمام الجواد عليه السلام معجزة العصور فهو ذو عمر قصير وذو وجود عريض سار عكساً مع قصر حياته فقد ولد فكان طفلاً عجيباً ثم دب ودرج وقام وقعد مرجعاً مرموقاً، ولعل السر الواضح من أسرار القرآن الكريم هو التلميح بأهل البيت عليهم السلام، وليس التصريح ويبدو أن ذلك العمل هو سر من أسرار حفظ القرآن الكريم من التحريف الذي قد مارسته السلطات المعادية لأهل البيت عليهم السلام لذلك جاءت الإشارات القرآنية منسجمة تماما لتقارن ما بين بعض الأنبياء وما هو موجود في الإمام الجواد عليه السلام؛ لذلك عملنا في بحثنا هذا الى استخراج تلك الإشارات ومطابقتها مع حياة الإمام الجواد عليه السلام لتكون صورته واضحة قرآنيا لدى القارئ الكريم، ولعل أبرز ما دفعنا الى اختيار هذا الموضوع هو أنه لم نجد من خلال مطالعتنا احداً قد أفرد كتاباً أو بحثاً يتحدث فيه عن الإمام الجواد عليه السلام في القرآن الكريم أما الأمر الآخر الذي حثّنا على كتابة هذا البحث فهو كثرة الصور المتشابهة ما بين الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وبين الإمام الجواد عليه السلام؛ لذلك جاء البحث في ثلاثة مباحث: الأول تكلمنا فيه عن البشارة بولادة الجواد عليه السلام وأوجه الشبه بين البشارة التي بُشر بها إبراهيم وزكريا عليهما السلام والبشارة التي بُشر بها الإمام الرضا عليه السلام. أما المبحث الثاني تكلمنا فيه عن أوجه الشبه قرآنيا بين الإمام الجواد وبين عيسى بن مريم عليهما السلام فكلاهما تكلم في المهد، وعلمهما بالغيب، وكُرّما بإحياء الموتى بأذن الله، وشفاء المرضى فبيّنا المعاجز التي كان يتمتع بها الإمام الجواد عليه السلام فوجدنا انه ما جاز لغيره يمكن أن يجوز له؛ لأنه من عباد الله المخلصين، أما المبحث الثالث فجاء على أمرين الاول جاء ليقارن بين حكمة نبي الله يحيى عليه السلام وحكمة الجواد عليه السلام فكلاهما قد أوتى الحكمة صبيا، أما الأمر الآخر فقد تكلمنا فيه عن إمامة الجواد في القرآن الكريم وقارناها مع إمامة الانبياء وما جاء بحقها وفي نهاية البحث توصلنا الى العديد من النتائج.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإمام الجواد عليه السلام، إمامة الأنبياء، البشارة، علم الغيب، المعجزات.

Abstract:-

Imam al-Jawad (peace be upon him) was considered the miracle of the ages, as he had a short life and a broad presence that went against the shortness of his life. It is not a statement, and it seems that this work is one of the secrets of preserving the Noble Qur'an from distortion that may have been practiced by the authorities hostile to Ahl al-Bayt (peace be upon them). Therefore, the Qur'anic references came in complete harmony to compare what is between some of the prophets and what is present in Imam al-Jawad (peace be upon him); Therefore, in our research, we worked to extract these references and match them with the life of Imam al-Jawad (peace be upon him) so that his image would be clear in the Qur'an for the honorable reader. Imam al-Jawad (peace be upon him) in the Holy Qur'an The other thing that prompted us to write this research is the large number of similar images between the prophets mentioned in the Holy Qur'an and Imam al-Jawad (peace be upon him); Therefore, the research came in three sections: the first in which we talked about the good news of the birth of the horse (peace be upon him) and the similarities between the good news that Ibrahim and Zakariya (peace be upon her) preached and the good news that Imam Reza (peace be upon him) preached. As for the second topic, we talked about the Quranic similarities between Imam Al-Jawad and Issa bin Maryam (peace be upon them both), both of them spoke in the cradle, and taught them the unseen, and were honored by reviving the dead, God willing, and healing the sick, so we explained the miracles that Imam Al-Jawad (peace be upon him) enjoyed, and we found that What is permissible for others may be permissible for him. Because he is one of the faithful servants of God. As for the third topic, it came to two matters. The first came to compare the wisdom of the Prophet of God Yahya (peace be upon him) and the wisdom of the horse (peace be upon him). The leadership of the prophets and what has been revealed about it. At the end of the research, we reached many results, and God grant success

Key words: The Holy Qur'an , Imam al-Jawad (peace be upon him) , the leadership of the prophets , the glad tidings , knowledge of the unseen, miracles.

المقدمة:

لقد جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث: الأول تكلمنا فيه عن البشارة بولادة الجواد عليه السلام وأوجه الشبه بين البشارة التي بُشر بها إبراهيم وزكريا عليهما السلام والبشارة التي بُشر بها الإمام الرضا عليه السلام. أما المبحث الثاني فقد ضمّ أوجه الشبه قرآنيا بين الإمام الجواد وبين عيسى بن مريم عليهما السلام فكلاهما تكلم في المهد، وعلمهما بالغيب، وكُرّما بإحياء الموتى بأذن الله، وشفاء المرضى فبيّنا المعاجز التي كان يتمتع بها الإمام الجواد عليه السلام فوجدنا انه ما جاز لغيره يمكن أن يجوز له؛ لأنه من عباد الله المخلصين، أما المبحث الثالث فجاء على أمرين الاول جاء ليقارن بين حكمة نبي الله يحيى عليه السلام وحكمة الجواد عليه السلام فكلاهما قد أوتى الحكمة صبيا، أما الأمر الآخر فقد تكلمنا فيه عن إمامة الجواد في القرآن الكريم وقارناها مع إمامة الانبياء وما جاء بحقها وفي نهاية البحث توصلنا الى العديد من النتائج ومن الله التوفيق.

المبحث الاول

البشارة بولادته

لقد تأخرت ولادة الإمام الجواد عليه السلام كثيراً فوالده الإمام الرضا عليه السلام قد بلغ السابعة والاربعين من العمر[1]، ولم ينجب ولداً عند ذلك أخذت الإشاعات تترى في الوسط المجتمعي بأن الإمام عليه السلام عقيمٌ ليس له ولد، وهنا يكون التشابه كبيراً بين نبي الله زكريا عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام فكلاهما قد تأخرا في الإنجاب، ولم يكن لهما وريث، وربما كانت الحكمة الالهية هي من اقتضت هذا الأمر، وذلك لفتنة الناس ولتميز من يبقى على دينه ومذهبه وإخلاصه له ومن يتزعزع إيمانه.

فزكريا كان كثير التضرع الى الله تعالى من أجل ان يرزقه ولداً، وهو ما بيّنه القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2] وفي آية أخرى يقول تعالى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[3] كذلك الحال مع الإمام الرضا عليه السلام فقد كان كثير الدعاء لله تعالى ولكن قلبه كان مطمئناً في ان الله لن يترك ذلك الأمر حتى يكون له ولد من صلبه يرثه في الإمامة من بعده، وهو ما أشارت إليه الروايات التي تثبت ذلك فروي عن أحمد عن جعفر بن يحيى عن مالك بن أشيم عن

الحسين بن بشار قال: كتب ابن قياما إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتابا يقول فيه: ((كيف تكون إماماً، وليس لك ولد فأجابه أبو الحسن عليه السلام شبه المغضب: وما علمك أنه لا يكون لي ولد، واللّه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني اللّه عز وجل ولدا ذكرا يفرق به بين الحق والباطل))[٤].

كانت الأمور صعبة وملتبسة على الكثير من شيعة أهل البيت عليهم السلام لاسيما وأنهم قد مرّوا بظروف قاسية فقد انسلخ الكثير من أتباع أهل البيت عليهم السلام ممن لم يقولوا بإمامة الكاظم عليه السلام وادعوا الوقف فسموا بالواقفة، وهذا الشيء حتم على بعض الشيعة في أن يتجرؤوا ويسألوا الإمام الرضا عليه السلام عن الإمام من بعده، وهو لم يولد له ولد بعد فقد روي أحمد بن عيسى بن عبيد عن عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى قالا: حدثنا الحسين بن قياما وكان من رؤساء الواقفة فسألنا أن نستأذن له على الرضا عليه السلام ففعلنا فلما صار بين يديه قال له: أنت إمام؟ قال: نعم قال: إني أشهد الله إنك لست بإمام قال: فنكت عليه السلام في الأرض طويلا منكس الرأس ثم رفع رأسه إليه فقال له: ما علمك إني لست بإمام؟ قال له: إنا قد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام إن الإمام لا يكون عقيما وأنت قد بلغت السن وليس لك ولد قال فنكس رأسه أطول من المرة الأولى ثم رفع رأسه فقال: إني أشهد الله أنه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولدا مني قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال فوهب له أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة[٥].

من هذه الرواية يمكن ان نستشف ما يأتي:

أولاً: مدى الخطر المحدق الذي كان ينتظره الإمام الجواد عليه السلام، وهو لم يولد بعد وذلك من خلال التجزؤ والتفرق الذي كان بين صفوف الشيعة في حينها.

ثانياً: مدى الالم الذي كان يعانيه الإمام الرضا عليه السلام في تأخر الانجاب على الرغم من اطمئنان قلبه بانه سيرزق بولد يرثه لكنه كان متألما لاتباعه وتخلخل عقيدة بعضهم.

ثالثاً: البشارة بمولد الإمام الجواد عليه السلام، وهو الأمر الأهم في هذه الرواية فجأت متناغمة مع ما جاء في القرآن الكريم ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[٦] فهناك تشابه كبير بين الإمام الجواد عليه السلام وبين يحيى عليه السلام، وهو ما سيظهر في أثناء البحث.

والموضوع الأهم الذي يجب الوقوف عنده هنا ذلك الاطمئنان الذي كان يملأ قلب الإمام الرضا عليه السلام بأنه سيولد له ولد فكان يبشر به، ولم يخامر قلبه شك أو ريب، ولم يكن يخاف أن يبدو لله تعالى شيء من تغير قضاء أو تبديل مشيئته فيبدو أن هذا الاطمئنان نابعٌ من أمور عدة أولها كان نابعاً من القرآن الكريم فهو يعلم أن الإمام والإمامة أمر محتوم فكان يوقن أن الله سبحانه قال ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٧] فيما قضي وحتم بل إن الإمام الرضا عليه السلام كان يعد الإمام الجواد عليه السلام جزءاً من منظومة متكاملة دلت عليها الكثير من الآيات القرآنية هذه المنظومة أُعدت من الله تعالى من أجل هداية البشر، وبذلك يستشهد الإمام الرضا بالآية المباركة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٨] فيقول لأحد أصحابه: طب نفساً وطيب بأنفس أصحابك فالأمر يجيء على غير ما يحذرون إن شاء الله[٩].

أما الأمر الآخر فإن النبي صلى الله عليه وآله قد بَشّر بالإمام الجواد؛ لأنه كان يتطلع ما وراء الغيب يترنم بكلمات لم يدركها أاولئك النفر الذين يحيطون به فكان يتكلم بمناجاة تسمو في روعتها تراتيل النبوة في سفر الغيب المكنون فكان يستذكر حفيده السابع فيفديه بأبيه ويذكر أن أمه هي خير الإماء المنتجبة، وقد وردت الروايات الدالة على ذلك فقد روي الشيخ الطبرسي بإسناده أنه قال ((عن زكريا بن يحيى قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال في حديثه: لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام لما بغى عليه إخوته وعمومته. وذكر حديثا طويلا حتى انتهى إلى قوله: فقمت وقبضت على يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام، وقلت: أشهد أنك إمامي عند الله، فبكى الرضا عليه السلام ثم قال: يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة يقال: مات أو هلك أي واد سلك[١٠].

وفي حديث آخر بشر النبي صلى الله عليه وآله بالإمام الجواد عليه السلام فقال الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده أبي بن كعب، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وإن الله عز وجل ركب في صلبه [أي الرضا عليه السلام] نطفة مباركة، طيبة، زكية، رضية، مرضية، وسماها محمد بن علي فهو شفيع شيعته، ووارث علم جده، له علامة بينة، وحجة ظاهرة، إذا ولد يقول: لا إله الله، الا الله[١١].

يبدو أن الاوضاع في ذلك الحين تستدعي الاهتمام والتبشير بالمولود الذي سيتأخر كثيراً؛ لأنها كانت من ضمن بلاء الله تعالى وتمحيصاته، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[١٢] فكان هذا الاهتمام من أهل البيت عليهم السلام من أجل إنقاذ الشيعة وعدم الانجرار وراء الفتن والأهواء فالإمام الكاظم عليه السلام هو الآخر يبشّر بإمامة الجواد عليه السلام فعن ابن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام - من قبل أن يقدم العراق بسنة - وعلي ابنه جالس بين يديه، فنظر إلى وقال: يا محمد أما إنه سيكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك، قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك فقد أقلقتني؟ قال: أصير إلى هذه الطاغية أما إنه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك؟ قال: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١٣] قال قلت: وما ذلك جعلني الله فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقه وجحده إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحده حقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قلت: والله لئن مدّ الله لي في العمر لأسلمنّ له حقه ولأقرنّ بإمامته. قال: صدقت يا محمد يمدّ الله في عمرك وتسلم له حقه عليه السلام وتقر له بإمامته وإمامة من يكون بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: ابنه محمد،قال: قلت: له الرضا والتسليم[١٤].

نجد هنا ان الإمام الكاظم عليه السلام لم يألُ جهدا الا وبذله من أجل اثبات ولادة محمد الجواد وإمامته؛ لأنه كان كجده الرسول صلى الله عليه وآله يطلع على الأمور من وراء الحجب، وهو يعلم أن هناك فرقة سوف تنكر إمامة الجواد وأبيه من قبله فبشاراته تلك تدفع جحد الجاحدين من شراذمة الواقفة وقطاع الطرق والأهواء المنحرفة.

ولعل البشارة المهمة تلك التي ربطت بين آل داود في القرآن الكريم، وتلك التي وردت على لسان الإمام الرضا عليه السلام فعن كليم بن عمران قال قلت للرضا عليه السلام: ادع الله أن يرزقك ولداً فقال: إنما أرزق ولداً واحداً، وهو يرثني ويرث من آل داود[١٥] فجاء هذا الحديث انسجاماً مع قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[١٦].

المبحث الثاني

الإمام الجواد عليه السلام شبيه عيسى بن مريم عليهما السلام

نصت الروايات التي جاءت تتحدث عن الإمام الجواد عليه السلام على أنّ هناك تشابهاً كبيراً بين الإمام الجواد والسيد المسيح عليهما السلام ومنها:

أولاً: تكلمه في المهد:

كان الإمام الرضا عليه السلام كثيراً ما يحتج بالسيد المسيح عليه السلام عند المقارنة والحديث عن الإمام الجواد عليه السلام فقال: إن الله تعالى بعث عيسى بن مريم عليه السلام نبياً بإقامة الشريعة، وهو دون السن الذي أقام به أبو جعفر شريعته[١٧] فالإمام الرضا يريد أن يدل بهذه الحجة القاطعة على الناس على أن الإمام الجواد عليه السلام كان في صغر سنة يشبه عيسى بن مريم في الكثير من الصفات ومنها صغر السن فيقول الله تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[١٨] فإذا جاز أن يكون عيسى بن مريم قد تكلم، وهو في المهد فإن ذلك يجوز للإمام الجواد عليه السلام أن يتكلم، وقد ورد هذا التكلم عن طريقين الأول قبل ولادته، وذلك عندما بشّر به النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: ((إذا ولد يقول: لا إله الا الله، محمد رسول الله))[١٩]، أما الطريق الآخر إذ تحققت بشارة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فعندما ولد عليه السلام تكلم في المهد إذ روي عن أبي المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثني أبو النجم بدر ابن عمار، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي، قال: حدثني عبد الله بن أحمد، عن صفوان، عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى عليه السلام، قالت: كتبت لما علقت أم أبي جعفر عليه السلام به: " خادمتك قد علقت ". فكتب إلى " إنها علقت ساعة كذا، من يوم كذا، من شهر كذا، فإذا هي ولدت فالزميها سبعة أيام ".قالت: فلما ولدته قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فلما كان اليوم الثالث عطس فقال: الحمد لله، وصلى الله على محمد وعلى الأئمة الراشدين[٢٠].

وفي رواية أخرى عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قالت: لما حضرت ولادة الخيزران أم أبي جعفر دعاني الرضا فقال لي: يا حكيمة احضري ولادتها وادخلي وإياها والقابلة بيتا، ووضع لنا مصباحا وأغلق الباب علينا فلما أخذها الطلق انطفأ المصباح وبين يديها طست فاغتممت بطفي المصباح، فبينا نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست، وإذا عليه شيء رقيق كهيأة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت فأبصرناه فأخذته

فوضعته في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء فجاء الرضا ففتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه فوضعه في المهد وقال لي: يا حكيمة الزمي مهده. قالت: فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه ويساره ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقمت ذعرة فزعة فأتيت أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجبا، فقال: وما ذاك؟ فأخبرته الخبر فقال: يا حكيمة ما ترون من عجائبه أكثر[٢١].

ثانياً: إحياء الموتى

تميز الإمام الجواد عليه السلام بالكثير من المعاجز، وحتى لا تقول الناس بحقه ساحر أو مشعوذ وحاشاه قرنه الله تعالى بمعاجز الأنبياء والرسل فما جاز لهم جاز للمعصومين عليهم السلام فكان عيسى بن مريم عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله تعالى فقال تعالى ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢٢] فمادام هذا الإحياء بإذن الله تعالى يمكن أن يكون للإمام الجواد عليه السلام إذ روي عن محمد بن أبان، مرفوعا إلى أبي جعفر عليه السلام، وكان في عهده رجل يقال له: (شاذويه)، وكان له أهل حامل وإنها أموية... فقال عليه السلام: نعم ! إنّ لك أهلا حاملا، وعن قريب تلد غلاما، وإنها لم تمت في ذلك الغلام... فأفاقت عن قريب، وولدت غلاما ميتا... قال محمد بن سنان قلت: يا سيدي! تسأل الله أن يحييه،فقال: اللهم ! إنك عالم بسرائر عبادك، فإن شاذويه قد أحب أن يرى فضلك عليه، فأحي له أنت الغلام فأحياه الله[٢٣] .

وفي رواية أخرى عن أحمد بن محمد الحضرمي، قال: حجّ أبو جعفر عليه السلام فلما نزل زبالة فإذا هو بامرأة ضعيفة تبكي على بقرة مطروحة على قارعة الطريق، فسألها عن علة بكائها فقامت المرأة إلى أبي جعفر عليه السلام وقالت: يا ابن رسول الله، إني امرأة ضعيفة لا أقدر على شيء، وكانت هذه البقرة كل مال أملكه، فقال لها أبو جعفر عليه السلام: " إن أحياها الله تبارك وتعالى لك فما تفعلين؟ " قالت: يا ابن رسول الله لأسجدنّ لله شكرا ". فصلى أبو جعفر ركعتين ودعا بدعوات ثم ركض برجله البقرة، فقامت البقرة، وصاحت المرأة: عيسى بن مريم. فقال أبو جعفر عليه السلام: " لا تقولي هذا، بل عباد مكرمون، أوصياء الانبياء "[٢٤].

ثالثاً: علمه بالغيب

المعروف لدى الجميع أن علم الغيب لله وحده سبحانه وتعالى لكن الآيات القرآنية تدلل على أنه قد يطلع على غيبه من ارتضاه، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٢٥]، والمعنى في الآية الأولى أن الله وحده هو عالم بكل غيب يختص به فلا يطلع على الغيب أحد من الناس، والمفاد في هذا هو السلب الكلي أي لا يطلع على الغيب أحدا من عباده[٢٦] ثم استثنى فقال «إلا من ارتضى من رسول» يعني الرسل فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم، ومعناه أن من ارتضاه واختاره للنبوة والرسالة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة[٢٧]، وهذا أمر مسلم به إذاً فلا مانع أن يفيض الله تعالى على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الغيب والنبي يفيض على الإمام الجواد عليه السلام من ذلك الغيب لإكمال متطلبات الرسالة بدليل قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢٨] .

وفي آية أخرى يقول عزّ وجل ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٢٩] هنا نجد أن الله قد أظهر على غيبه رسوله الذي ارتضاه واجتباه فورث ذلك عنه اهل بيته واحداً بعد واحد بدليل ايه التطهير كذلك كان عيسى بن مريم عالما بالغيب إذ يقول تعالى ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣٠] فهنا القرآن يشير صراحة الى أن عيسى عليه السلام كان يعلم الغيب فهو من الذين أطلعهم الله على غيبه، وكان الإمام الجواد عليه السلام عالماً بالغيب بإذن الله، وقد نص على ذلك الإمام الرضا عليه السلام حين قال ((إن الإمام مؤيد بروح القدس، وبينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلما احتاج إليه لدلالة اطلع عليه))[٣١] أما الإمام الجواد عليه السلام فقد صرح بذلك فقال ((أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه، علمٌ مُنحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين، وبعد فناء السماوات والأرضين))[٣٢]، وهذا العلم عند أئمتنا عليهم السلام تعلم خاص من ذي علم للغاية التي بعث الله بها الأنبياء باعتبار الإمامة امتدادا حتمياً للنبوة، وهنا يمكن القول: إن ما ورد عن الإمام يعد ظاهرة من ظواهر كشف الاستار والحجب عن الوقائع القادمة بكل دقة وأمانة فلا تختلف الأخبار عنها في الواقع مطلقاً فقد روي المجلسي فقال ((عن محمد بن عيسى، عن إبراهيم بن محمد قال: كان أبو جعفر محمد بن علي كتب إلى كتابا وأمرني أن لا أفكه حتى يموت يحيى بن أبي عمران قال: فمكث الكتاب عندي سنين فلما كان اليوم الذي مات فيه يحيى بن أبي

عمران فككت الكتاب فإذا فيه: قم بما كان يقوم به أو نحو هذا من الأمر))[٣٣]، وكان إبراهيم يقول: كنت لا أخاف الموت ما كان يحيى بن أبي عمران حيا[٣٤].

وقد علق أحدهم على هذه الرواية فقال: وفي هذا الكتاب ملحظان غيبيان :[٣٥]

الأول: الأنباء بأن عمر إبراهيم بن محمد أطول من عمر وكيله يحيى بن ابي عمران؛ لهذا أسند إليه الأمر قبل وفاة يحيى بسنتين.

الثاني: القطع بأن ابراهيم بن محمد سوف لا ينحرف عن منهج أهل البيت طوال هذه المدة بحيث استحق وكالة الإمام، أو القيام بمهمة يحيى بن أبي عمران من بعده.

رابعاً: شفاء المرضى:

كانت أوجه الشبه كثيرة وكبيرة بين الإمام الجواد وعيسى بن مريم عليهما السلام فكلاهما كانا كثيرا المعاجز والخوارق الطبيعية فقد اشتهر السيد المسيح عليه السلام بإشفاء المرضى، ولاسيما منهم الذين أُصيبوا بأمراض مستعصية، وقد عجز عنها أطباء عصره، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٣٦]، كذلك كان الإمام الجواد عليه السلام قد جرت على يديه بعض المعاجز التي شفى بها المرضى فقد روى علي بن أسباط أبو سلمة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وكان بي صمم شديد فخبر بذلك لما أن دخلت عليه فدعاني إليه فمسح يده على أذني ورأسي ثم قال: اسمع وعه فوالله اني لأسمع الشيء الخفي عن أسماع الناس من بعد دعوته[٣٧] فهذه معجزة تحسب للإمام الجواد الى وقتنا الحاضر قد عجز الأطباء عنها كذلك شفاء الأكمه تعد معجزة لعيسى بن مريم فالأكمه حسب كتب اللغة هو الذي يولد أعمى[٣٨]، وهذه معجزة الى وقتنا الحاضر وفي ظل التطور العلمي لم يصل إليه الاطباء بل عجزوا عنه.

خامساً: كلاهما مبارك

لم يقف تشابه الإمام الجواد مع النبي عيسى عليه السلام عند هذا الحد بل هنالك تشابهٌ أورده الإمام الرضا عليه السلام عند الحديث عن الإمام الجواد مع ما جاء في الحديث عن عيسى بن مريم في القرآن الكريم فكلاهما قد نعتا بالبركة فالأخير وصفه القرآن الكريم بأنه مباركٌ فيقول الله تعالى بحقه ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٣٩]، وأما الأول فقد

قال فيه والده الإمام الرضا عليه السلام بأنه المولود المبارك، وفي ذلك ينقل العلامة المجلسي بإسناده فيقول ((عن يحيى الصنعاني قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام، وهو بمكة وهو يقشر موزا ويطعم أبا جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك هو المولود المبارك؟ قال: نعم، يا يحيى هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه))[٤٠].

هذا الأمر لا ينفي البركة عن بقية الائمة عليهم السلام كما لا ينفي القرآن الكريم البركة عن بقية الأنبياء عليهم السلام الذين سبقوا عيسى بن مريم والذين جاءوا من بعده، وإنما تبدو العلة هنا أن كليهما قد ولد بعد أقاويل وأباطيل قيلت بحقهما وبحق آبائهما لذلك جعل الله بهما البركة بأن دفع بهما تلك الأقاويل والأباطيل وأحق الحق بهما من حيث النبوة والإمامة، والله اعلم.

المبحث الثالث

أولاً: آتيناه الحكمة صبيا

تعرف الحكمة على أنها معايير وضوابط من شأنها تمكّن الأنسان من أن يأتي بالأمور وفق ما يريده الله تعالى من حيث انسجام هذه الأمور مع سائر الحقائق التي لها مساس بما تؤديه من وظائف، وهذا الأمر يستدعي إثارة دفائن العقول والابتعاد عن الجمود، وإعطاء العقول والفطرة دورها وأصالتها[٤١]، وقد وردت مفردة الحكمة في القرآن الكريم فيقول تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٤٢] وفي آية أخرى بحق سليمان عليه السلام إذ يقول تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٤٣] هاتان الآيتان تشيران الى أنّ الحكمة من الأمور التي تخص الذات الالهية فيأتيها من يشاء، ولم تؤخذ عن طريق الممارسة أو الدراسة أو تجارب الأيام.

وقد نصّ الإمام الرضا على إمامة الجواد عليهما السلام فكان الإمام الجواد عليه السلام الأول من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام من تولى شؤون الإمامة وتسلّم مهام القيادة والريادة، وهو صغير السن أي ابن ثمان سنين تقريباً ثم جاء بعده ولده الإمام الهادي عليه السلام ليتولى شؤون الامة، وهو بهذا السن أو أصغر ثمان أو ست سنوات ايضاً ثم يأتي الإمام المهدي عجل الله فرجه ليتولى أمر الأمة وعمره لا يزيد على خمس سنوات كذلك[٤٤].

فكان الإمام الجواد عليه السلام أول تجسيد حي للإمامة بكل ما لهذه الكلمة من معنى وعلى

حسب المواصفات التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة والله تعالى هو الذي يتولى تسديده ورعايته مثل ما فعل مع بعض الأنبياء (سلام الله عليهم)، وقد ظهرت صورهم في القرآن الكريم وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٤٥] هنا نجد أن الفطرة السليمة عند المتمرس في أوليات لغة القرآن الكريم تأبى اللف والدوران في مخالفة ظاهر النص ودلالة اللفظ في هذه الآية الكريمة فالطاعة لله أولاً، وللرسول ثانياً، ولأولي الأمر ومنهم الجواد عليه السلام ثالثاً، وهي عبارة عن حلقة مترابطة الأجزاء تأبى الانفصال العضوي فلا يمكن أن يدعو القرآن الى طاعة الظَلمة وأولياء الجور، وهو الدستور والمنقذ للبشرية جمعاء فالله هو المشرع الاول، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المبلغ الأمين فلا يعطف عليهما الا من التزم نهجهما وسار في طريقهما .[٤٦]

وقد روى عبد الرحمن بن محمد عن كلثم بن عمران قال قلت للرضا عليه السلام ادع الله أن يرزقك ولدا فقال عليه السلام إنما ارزق ولدا واحدا وهو يرثني فلما ولد أبو جعفر قال الرضا لأصحابه قد ولد لي شبيه موسى ابن عمران فالق البحار وشبيه عيسى بن مريم قدست أم ولدته وروي بالإسناد عن كلثم بن عمران، قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت تحبّ الصبيان، فادعُ الله أن يرزقك ولداً. فقال: إنّما أُرزق ولداً واحداً وهو يرثني. فلمّا ولد أبو جعفر عليه السلام كان طول ليلته يناغيه في مهده، فلمّا طال ذلك على عدّة ليال، قلت: جعلت فداك، قد ولد للناس أولاد قبل هذا فكلّ هذا تعوّذه ! فقال عليه السلام: ويحك ! ليس هذا عوذة، إنّما أغرّه بالعلم غرّاً[٤٧].

هذه النصوص تؤكد على إمامة الجواد عليه السلام، وهو لم يولد بعد أو وهو صغير السن، وهذا أمر لا يدخل القلوب بيسر ولا يلج الأذان بدون رخصة؛ لأنه من طبائع الناس أن يرفضوا المسائل التي لا تستطيع إفهامهم واحتوائها بسهوله فقد استنكر الكثير من الناس إمامته واستشكلوا على صغر سنه فقال له أحدهم ((يا سيدي ومولاي إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك فقال عليه السلام وما ينكرون من ذلك فوالله لقد قال لنبيه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤٨] فوالله ما اتبعه الا علي عليه السلام وله تسع سنين... وأنا ابن تسع سنين))[٤٩].

وهنا نركز على حكمة الإمام الجواد عليه السلام، وهذا التشابه الكبير بينه وبين عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فالسؤال هنا هل الإمام الجواد عليه السلام حجة على المسلمين مع وجود أبيه عليه السلام؟ هذا السؤال يجيب عنه القرآن الكريم والإمام جعفر الصادق عليه السلام معنا فقد نقل الفيض الكاشاني إن أحدهم سأل الإمام الصادق فقال ((أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة اللّه على أهل زمانه فقال كان يومئذ نبيا حجة لله غير مرسل أما تسمع لقوله حين قال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٥٠] قلت فكان يومئذ حجة لله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد فقال كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من اللّه لمريم حين تكلم فعبر عنها وكان نبيا حجة على من سمع كلامه في تلك الحال فصمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان وكان زكريا الحجة لله عز وجل على الناس بعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة، وهو صبي صغير أما تسمع لقوله عزّ وجل ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٥١] فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين، تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى اللّه إليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين وليس تبقى الأرض...بغير حجة لله))[٥٢]. هذا النص يبين لنا هذا التشابه الذي أورده لنا القرآن الكريم بين هؤلاء الأنبياء، وهم حجج الله في الأرض وبين الإمام الرضا وولده الجواد عليهما السلام فكلاهما كان يقوم بدوره فلا عجب ولا غرابة ان يأتي الإمام الجواد عليه السلام الحكم وهو في سن الصبا.

ثانياً: إمامته في القرآن الكريم :

الإمامة تعني الخلافة المطلقة لشخص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولعلومه ومعارفه ومؤهلاته وصلاحياته ومسؤولياته، وبتعبير آخر هي صورة كاملة للنبوة بفارق واحد فقط إن الإمام لا يُوحى إليه، في حين النبي يوحى إليه، فلا نبي بغير وحي، ولكن الإمامة تصح بدونه[٥٣]، وقد ورد منصب الإمامة في القرآن الكريم، وقد اختص الله به إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٥٤] هنا أشارت الآية القرآنية الى ارتباط وثيق بين مفهوم الإمامة من حيث أنها أصل ديني في كونها منصباً إلهياً، لا شأن لغير الله باختيار من يشغله، ومن يشغله لابد أن يمتلك مؤهلات تمكنه من نيله وبين الاختبارات والابتلاءات التي ابتلاها الله إبراهيم عليه السلام

فلما نجح بهن جعله إماماً فيقول الله (فأتمهن) فبعد أن أتمّ إبراهيم هذه الابتلاءات جعله إماماً كذلك الحال مع الإمام الرضا عليه السلام فقد ابتلاه الله بالواقفية وتأخر الإنجاب، وبعد النجاح الكبير أراد الله أن يهب إبراهيم المنصب الجديد الذي استحقه بجداره وصار اهلاً له، هذا المنصب هو الإمامة حيث قال تعالى (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)[٥٥] فصار إبراهيم بإرادة الله وجعله إماما للناس أجمعين.

فإبراهيم عليه السلام كان حريصا على أن يجعل الإمام من بعده في ذريته، والقرآن يشير الى أنه قد تأخر في الإنجاب، ولم يرزق بولد إلا بعد أن مسه الكبر، وفي ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[٥٦] تشير الآيات الكريمة الى أن إبراهيم لم يرزق بولد بعد، ولم يعلم بذلك إلا بعد أن مسه الكبر فلما ارتقى إبراهيم عليه السلام من النبوة الى الإمامة؛ لأن مرتبة الإمامة أسمى من مرتبة النبوة، والى ذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام بقوله ((ان الله اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، واتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، واتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، واتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً فلمّا جمع له هذه الأشياء - وقبض يده - قال له: يا إبراهيم إنّي جاعلك للناس إماماً، فمَن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: يا ربّ ومن ذرّيّتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين))[٥٧] وبعد أن بشّر بولد كان إبراهيم يعلم بخطورة الفراغ الذي سيخلفه بعده فكان أمله أن يكون الأئمة من ذريته كذلك كان الإمام الرضا عليه السلام حريصاً على شغل هذا المنصب لمن يستحقه فكان كثير الوصاية بإمامة الجواد من بعده؛ لأنه عليه السلام كان ينظر الى أهمية ذلك المنصب كما بيّناه أنه أهم من النبوة الى ولده الجواد عليه السلام.

لكن ذيل الآية المباركة تشير الى شيء مهم جدا في موضوع إمامة الجواد عليه السلام هو إن الإمام عليه السلام من ذرية النبي إبراهيم، وأنه لم يكن من الظالمين ابداً؛ لأنها قد عممت حينما قالت (لا ينال عهدي الظالمين) أي إن الإمام الجواد بصريح القرآن الكريم لم يكن يقترف ظلما بحياته قط؛ لذلك نال الإمامة من قبل رب العالمين فهو إذن من الفئة التي لزمت الصلاح وعاشت العصمة منذ أول حياته إلى نهايتها[٥٨].

والأمر الآخر الذي يجب الوقوف عنده هنا مفرده (عهدي) فلم يقل الله تعالى عهدكم، وبذلك حصر الله تعالى إمامة الجواد به وحده فقط، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥٩]، لقد نهض الإمام بأعباء الشرعية للمسلمين، وهو لما يبلغ الحلم على نحو ما حدث لعيسى بن مريم حيث أوتي النبوة، وهو في المهد.

كانت ظروف التي تحيط بالإمام الجواد عليه السلام صعبة ومعقدة للغاية لاسيما، وهو في سن السابعة من عمره فهي تطرح سؤلاً اساسياً للمأمون العباسي أولاً، ولعامة الناس ثانياً، ولبعض شيعة أهل البيت ثالثاً، والسؤال هو ما مدى جدارة هذا الصبي للقيام بمهمة الإمامة والقيادة الربانية المفترضة الطاعة التي لابد لها أن تخترق كل الحجب السياسية والاجتماعية الموجودة، وهكذا كان الإمام الجواد قد طرح أمام تساؤل كبير فلم يسبق أحداً قبله أن يتولى الإمامة، وهو بهذا السن هذا الأمر حتم على الإمام الجواد أن يثبت جدارته أمام الجميع، وإن كان ذلك يكلف حياته؛ لأن إثبات أحقية أهل البيت ورسالتهم الربانية وامتداد الرسالة المحمدية فوق كل شيء.

إن من أول المهام التي ألقيت على عاتق الإمام الجواد عليه السلام هو إثبات إمامته، وعلى المستوين العام والخاص، وقد تولى جزء من تلك المهمة أبوه الإمام الرضا؛ لأنه يدرك أهداف المأمون الخبيثة.

لقد أجمع المؤرخون على أن الإمام الجواد قد توفى أبوه عليه السلام وعمره لا يزيد عن سبع سنين، وقد تولى منصب الإمامة، وهو في هذا السن، وهذه الظاهرة هي الأولى من نوعها في حياة أهل البيت عليهم السلام؛ لذلك تكون مهمة الإمام عليه السلام من أجل إثبات إمامته ليست سهلة، لكن الدلائل الربانية والوقائع التاريخية كانت كافية للإقناع بإمامة الإمام الجواد فلنبدأ بالشيعة كيف آمنوا وصدقوا به وهو بهذا السن.

فلم يكن الإمام عليه السلام زعيما محاطا بالجيش أو الشرطة وأبهة الملك أو السلطان بحيث يحجب عن الرعية إذن فهذا الصبي مكشوف أمامهم فضلا عن هذا لم تكن دعوته للإمامة سرية محجوبة عن الرعية كما في الدعوات الصوفية التي تحجب بين القمة والقاعدة بل كان الإمام مكشوفاً أمام شيعته يتفاعلون في مسائلهم الدينية وقضاياهم الروحية هذا عن مسالة رؤية الإمام وعدم حجبه عن الناس[٦٠].

أما عن المسالة العلمية فلم يكن الشيعة الذين آمنوا بالإمام الجواد بتلك المجموعة التي ليس لها ذلك المستوى العلمي والفكري التي تستطيع من خلاله أن تميز بين الخطأ والصواب في الإيمان بإمامة فيدعي الإمامة كذباً لكن تلك المجموعة كانت قد تخرجت على يدي أكبر عالمين في وقتهما وهما الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام فهما جيلان متعاقبان فقد تميزوا بالفقه، والحديث، والتفسير، والعقائد، إذن فالمستوى الفكري والعلمي لم يكن ليمرر هذا الصبي ما لم يمتلك مؤهلات خاصة تؤهله لتلك المهمة، وليس جديداً أن يفوق الإمام أبناء عصره فقد كان إعجازه بالعلم مثار إعجاب الدنيا وحديث المسلمين حتى عد من دون مغالاة الإمام المعجزة؛ وذلك لدقته في الإجابة عمّا وجه إليه من مسائل بالنسبة لصغر سنه فكان أعلم الأمة بإجماعها(٦١).

وقد روي علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدثني أبي، قال:... فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام، وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد.... فسألوه في مجلس عن ثلاثين ألف مسألة فأجابهم فيها، وله تسع سنين(٦٢)، وفي ذلك يعلق الشيخ المفيد فيقول ((وإن الإمام يقدر على جواب أزيد منها))(٦٣).

وبذلك أصبح الإمام في الذروة في فصل الخطاب وقصب السبق في المحافل العلمية حتى لم يكن ليجارى في حلبته ولا ليمارى في مواهبه وخصائصه، ومن هنا كانت ظاهرة الصبا في الإمامة أو ظاهرة الإمامة في الصبا عاملاً قوياً في إنعاش مبدأ أهل البيت عليهم السلام وعنصرا مؤثراً في ترسيخ أصوله الثابتة في حين كان المفروض عكسيا لو كان الامر طبيعياً، ولكن الاعجاز الإمامي الذي استبق مقايس الكون في خرقه للمنطق البشري الاعتيادي، وكانت مفاجئة العمر الصغير تدعو الى البحث والنظر عند الكثيرين بيد أن الإمام الرضا عليه السلام قد سبق الى بيان ذلك والاستدلال عليه، وقد أشار الى ذلك المجلسي فذكر ((قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاما فقد وهب الله لك فقر عيوننا فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين، قال: وما يضره من ذلك شيء، قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين(٦٤).

ولما قبض الإمام الرضا عليه السلام كان سن أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة

بين الناس ببغداد وفي الأمصار، واجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمان بن حجاج، ويونس بن عبد الرحمان، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من المصيبة. فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء ! من لهذا الأمر؟ وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر عليه السلام. فقام إليه الريان بن الصلت، ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه، ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا، وتبطن الشك والشرك، إن كان أمره من الله، فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه، كان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلا، فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام. فلما وافوا، أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام؛ لأنها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله ابن موسى فجلس، وقام مناد وقال: هذا ابن رسول الله، فمن أراد السؤال ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر! فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه فدخل (صلوات الله عليه) وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين، وفي رجليه نعلان، وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة، فسأله عن مسائله. فأجاب عنها بالحق، ففرحوا ودعوا له، وأثنوا عليه[٦٥].

وفي رواية أخرى تكلم الإمام عليه السلام فقال: أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين، وبعد فناء السماوات والأرضين، ولولا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضلال، ووثوب أهل الشك، لقلت قولا تعجب منه الأولون والآخرون ثم وضع يده الشريفة على فيه، وقال: يا محمد اصمت كما صمت آباؤك[٦٦].

هذه اللغة العاصفة أوضحت بإصرار ووثوق منزلة الإمام العلمية من جهة وخصائصه المميزة من جهة أخرى فهو قد حباه الله بمن لست من جنس ما يحسن الناس ولا من وصف ما يعرفون بما فيه من إدراك الحقائق الغيبية ورصد الظواهر الخفية وعلم السرائر في بواطنها، وقد انحى بعد ذلك بالأئمة على أهل الباطل في تأليبهم ضد مسيرة أهل البيت الرسالية.

وكان الإمام الجواد بإشارته الى أنه ابن الإمام الرضا عليه السلام كأنه يشير الى الامتداد الطبيعي للإمامة، ولعل أبرع من أدرك تلك الإشارات، وتنبه الى تلك الخصيصة هو سبط بن الجوزي فعدّ الإمام الجواد امتداداً لرساله أبيه الإمام الرضا، والإمام الرضا امتداد لمدرسة ابائه وجده رسول الله فهم يصدرون عن مورد واحد وفي ذلك قال: ((وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود))[٦٧].

الخاتمة:

وفي نهاية البحث توصل الباحث الى العديد من النتائج أبرزها:

أولاً: إن ما جاز للأنبياء يمكن أن يجوز للمعصومين عليهم السلام من معاجز وكرامات فكلاهما ينهلان من معين واحد، وهو الله تعالى فهو مصدر قوتهم، وهو ملهمهم.

ثانياً: لم يكن صغر السن أو كبره حكراً على الإمامة، وإنما تكون الإمامة في من تسلح بسلاح الحكمة فالجواد عليه السلام كان شبيه عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فهم أوتوا الحكمة، ولم يبلغوا الحلم.

ثالثاً: إن ما ورد في القرآن الكريم من إشارات تريد أن تقول: إن بعض البشر يمكن أن يكونوا بمنزلة الانبياء أو أعلى منهم رتبة بشرط أن يعصم نفسه من الزلل لكي ينال عهد الله، وهو الإمامة وقد أجاد بذلك الإمام الجواد عليه السلام.

رابعاً: مما وجدناه أن إمامة الجواد عليه السلام قد وردت كثيرا في القرآن الكريم، وإن لم ترد صراحةً لكن الشبه الكبير الذي أورده القرآن الكريم ما بينه وبين الأنبياء عليهم السلام من حيث البشارة بهم قبل الولادة، وتكلم أحدهم بالمهد وآخر فُضل عن غيره بالحكمة بالصبا هذه الأمور وجدناها عند الإمام الجواد مما يدعونا الى القول بإمامته.

خامساً: إن الإمام الجواد يعد علامة فارقة في الإمامة فهو يمثل بداية التغير الجديد الذي طال الإمامة من الله تعالى فلم يسبق أن تولى أمرها صبي، ومن بعده تولى أمرها من هم بعمره أو أصغر منه لذلك يعد الجواد عليه السلام بداية التثبيت للإمامة في مرحلة الصبا.

هوامش البحث

(١) ولد الإمام الرضا عليه السلام سنة ١٤٨هـ أما الإمام الجواد فقد كانت ولادته في سنة ١٩٥هـ، وبذلك يكون عمر الإمام الرضا ٤٧سنة، بحار الأنوار/ المجلسي ٢٥/٩٩.

(٢) سورة الأنبياء/الآية ٩٠.

(٣) سورة مريم/الآية ٧.

(٤) الوافي، الفيض الكاشاني،٣٧٥/٢.

(٥) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق،٢٢٧/٢.

(٦) سورة مريم /الآية ٧.

(٧) سورة ق/ الآية ٢٩.

(٨) سورة التوبة /الآية ١١٥

(٩) بحار الانوار ٦٧/٢٣.

(١٠) إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي ٩٢/٢.

(١١) عيون اخبار الرضا ٦٤/١، وموسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيد القزويني ١٥٨/١.

(١٢) سورة الملك/الآية ٢.

(١٣) سورة إبراهيم/الآية ٢٧.

(١٤) الغيبة، الشيخ الطوسي ٢٤.

(١٥) بحار الانوار،١٥/٥٠.

(١٦) سورة النمل/الآية ١٦.

(١٧) دلائل الإمامة، الطبري الشيعي، ٣٨٨.

(١٨) سورة مريم: الآيتان ٢٩-٣٠.

(١٩) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، ١٥٨/١.

(٢٠) مدينة المعاجز، هاشم البحراني ٢٥٩/٧.

(٢١) مناقب ال ابي طالب، ابن شهر آشوب،٣/ ٤٩٩.

(٢٢) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٢٣) موسوعة الإمام الجواد ٣٨٦/٢.

(٢٤) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ١/ ٤٠٥.

(٢٥) سورة الجن/الآية ٢٦.

(٢٦) الإمام الجواد عليه السلام الإمام المعجزة سيرة ودراسة وتحليل، كامل سليمان،١٧١.

(٢٧) مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي، ١٠ /١٨٣.

(٢٨) سورة السجدة /الآية ٢٤.

(٢٩) سورة آل عمران/ الآية ١٧٩.
(٣٠) سورة آل عمران/الآية ٤٩
(٣١) الخصال، الشيخ الصدوق،٥٢٨
(٣٢) بحار الانوار ٥٠/ ١٠٨.
(٣٣) المصدر نفسه ٥٠/ ٣٨.
(٣٤) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، ٣١٧/١
(٣٥) الإمام الجواد عليه السلام معجزة السماء في الارض، محمد حسين الصغير، ١٢٥.
(٣٦) سورة آل عمران /الآية ٤٩.
(٣٧) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب،٤٩٥/٣
(٣٨) المطلع على أبواب الفقه، بن أبي الفتح،٤١٢
(٣٩) سورة مريم /الآية ٣١.
(٤٠) بحار الانوار،٣٥/٥٠.
(٤١) لسان العرب، ابن منظور ١٤٠/١٢.
(٤٢) سورة البقرة/ الآية ٢٦٩.
(٤٣) سورة ص/الآية ٢٠.
(٤٤) الإمام التاسع الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، لجنة التحرير في طرق الحق،٤٥.
(٤٥) سورة النساء /الآية ٥٩.
(٤٦) الإمام الجواد عليه السلام الإمامة المبكرة وتداعيات الصراع العباسي، محمد علي الحلو، ٥٧.
(٤٧) موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، ١٢ /٢٦
(٤٨) سورة يوسف /الآية ١٠٨.
(٤٩) الكافي ١/ ٣٨٤
(٥٠) سورة مريم/ الآيتان ٣٠-٣١.
(٥١) سورة مريم/ الآية ١٢.
(٥٢) الوافي ٧١/٢.
(٥٣) الإمام الجواد قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي ٢٣.
(٥٤) سورة البقرة /الآية ١٢٤.
(٥٥) سورة البقرة/الآية ١٢٤.
(٥٦) سورة الحجر/ الآيات ٥٢-٥٤.
(٥٧) الاختصاص، الشيخ المفيد،٢٢.
(٥٨) الميزان في تفسير القران، الطباطبائي، ١/ ٢٧٤

(٥٩) سورة القصص /الآية ٦٨.
(٦٠) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، ٢٦٦.
(٦١) الإمام الجواد عليه السلام الإمام المعجزة سيرة ودراسة وتحليل،١٧٥
(٦٢) موسوعة الإمام الجواد، القزويني، ١/ ١٨٢.
(٦٣) الاختصاص، ٣٧ /٨.
٦٤) بحار الأنوار، ٢٥/ ١٠٢.
(٦٥) موسوعة الإمام الجواد، ٦٥/١.
(٦٦) بحار الأنوار ٥٠/ ١٠٨.
(٦٧) تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي، ٣٥٨-٣٥٩.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، ط٢، تح: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٤ه.
٢. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن(ت٥٤٨هـ)، ط١، تح:مؤسسة اهل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، مؤسسة اهل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم،١٤١٧هـ.
٣. الإمام التاسع الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، لجنة التحرير في طرق الحق، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.
٤. الإمام الجواد عليه السلام الإمامة المبكرة وتداعيات الصراع العباسي، محمد علي الحلو، دار المرتضى، بيروت، ١٤٣٣هـ.
٥. الإمام الجواد قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي، ط١، رابطة الاخوة الاسلامية، ١٤٠٤هـ.
٦. الإمام الجواد عليه السلام معجزة السماء في الارض، محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، ٢٠٠٨م.
٧. الإمام الجواد عليه السلام الإمام المعجزة سيرة ودراسة وتحليل، كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٨م.
٨. بحار الانوار، العلامة المجلسي (ت١١١١هـ)، ط٢، مؤسسة الوفاء - بيروت،١٩٨٣م.
٩. تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي(٦٥٤هـ)، مكتبة نينوى، طهران، (د، ت).
١٠. الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي(٥٦٠هـ)، ط٢، تح: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان - قم المقدسة، ١٤١٢هـ.

١١. الخصال، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣.

١٢. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٤م.

١٣. عيون المعزات، حسين بن عبد الوهاب(ق٥)، الحيدرية، النجف، ١٣٦٩هـ.

١٤. الغيبة، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ)، تح: الشيخ عباد الله الطهراني الشيخ على احمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة، ١٤١١هـ.

١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

١٦. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني(١١٠٧هـ)، ط١، تح: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - ايران، ١٤١٣هـ.

١٧. المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح البعلي، تح: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠١هـ.

١٨. مناقب ال ابي طالب، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب(٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

١٩. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٣هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي - قم (د، ت).

٢٠. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)(ق/٤)،ط١، تح: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ١٤١٣هـ.

٢١. لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(٧١١هـ)، أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٢٢. موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيد الحسيني القزويني، مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية- قم المشرفة، ١٤١٩هـ.

٢٣. موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، ط١،مكتبة الهادي، ايران، ١٤١٧هـ.

٢٤. الوافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، ط١، مكتبة الإمام علي عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٦هـ.